

التحقيق وعلاقته بالتجديد في فكر عمار طالبي

د.مسعود بوشخشوخة

المدرسة الوطنية التحضيرية لدراسات مهندس- الجزائر العاصمة

الملخص:

إنَّ حرص عمار طالبي واهتمامه بموضوع التجديد الحضاري في العالم الإسلامي، الغرض منه تحقيق مطلب التغيير الحضاري الذي دعا إليه أستاذه مالك بن نبي، ومن ثمة فإنَّ الجدير بالذكر هو التأكيد على التداخل المثبت بين التجديد والحضارة من جهة، والتحقيق والتجديد من جهة أخرى. لأنَّ ما تراءى لعمار طالبي من قيمة حضارية للتحقيق في علاقته بالتجديد، هو في حقيقة الأمر محور رؤيته التجديدية التي ستكون المنطلق والخلفية المحورية لمواصلة إحياء مشروع أستاذه مالك بن نبي الحضاري.

Abstract :

The investigation and its relationship with renovation in the ideology of Ammar Talbi

The curiosity of Ammar Talbi and his interest in the topic of cultural renovation in the muslim world aims at fulfilling the cultural change advocated by his teacher Malek Ben Nabi. It therefore, emphasises the factual overlap between renovation and civilization on the one hand ,and investigation and innovation on the other hand. What was perceived by Ammar Talbi as a cultural value, regarding the relation of the investigation with renovation reflects in fact the essence of his innovative vision that forms both the starting point and the principal for continuing the cultural project revival of his teacher Malek Ben Nabi.

المقدمة:

إذا كان التجديد هو تجسيد للوعي بضرورة بناء الحاضر، فإنَّ المجدد الفعلي صاحب هذه المهمة هو الذي يتمكن من تحقيق مقولة التجديد في أرض الواقع. هذا الأخير الذي يؤهل المجدد للعمل الفكري المبدع والتفاعل في الوقت نفسه بينه وبين الواقع، وهذا لإخضاع المفكر لسلطة الواقع، بل لإضفاء المعنى العملي على ما يقدمه المفكر. والقصد من هذا هو ربط المفكر

بظروف واقعه الحضارية، وفي الآن عينه تجاوز العوائق المانعة لعمليات التجديد والإبداع.

إنّ ملامح التجديد عند المفكر تبدأ في جانب منها في صورة تفاعل المفكر نفسه مع قضايا عصره وعلومه وذلك من خلال عملية النقد المعرفي التي يبديها المفكر تجاه واقعه. وبناءً على هذه الممارسة النقدية تتولد المعرفة الجديدة التي هي روح التجديد عند المفكر، على اعتبار أنّ المعرفة ليست وليدة فراغ فكري، وإنما هي في حقيقة الأمر خلاصة خبرات وتجارب وتفاعل، ومعاونة لقضايا مجتمع الأمة.

لذا فإنّ معنى التجديد الذي نروم الحديث عنه في هذا التحليل ليس مقطوع العلاقة بالواقع الحضاري من جهة، وبعملية التحقيق في الموروث العلمي والفكري من جهة أخرى، بل هو يبدأ منهما معاً دون مفاضلة أحدهما على الآخر، لأنّ مفهوم التجديد يحيلنا في جانب من جوانبه إلى طرق سبل ومسالك جديدة للخروج بواقع الأمة من الأزمة، وذلك من خلال إعادة بناء الواقع بناءً فكرياً يتماشى مع الدور الفاعل للأمة حضارياً وفكرياً. وهو الأمر الذي يعني بلورة واستيعاب المفكر لمشكلات الواقع، هذه الأخيرة التي صارت تفرض جبراً جملة من الأسئلة والإشكاليات تستدعي تقديم الجواب الكافي.

يبدو إلى حد ما وضوح ملامح العلاقة بين التجديد والتحقيق التي تحدد إلى حد بعيد مسار المفكر المجدد والمحقق لمواكبة التطورات الحاصلة في عصره، وذلك بتقديم إجابات تؤطرها الخصوصية العربية والإسلامية. ولهذا فملاسة المجدد للإرث الفكري والعلمي القديم وتقديمه في صورة جديدة، يحمل في جانب كبير منه الدعوة إلى تأصيل ثوابت الأمة العربية والإسلامية، وترسيخ خياراتها الفكرية، فضلاً عن بلورة مشروعها النهضوي التجديدي. وفي هذا السياق مهم التأكيد على الأهمية الحضارية والفكرية للتحقيق في الموروث الفكري القديم وهي العمل على إحياء الموروث الثقافي العربي والإسلامي من جديد، إحياءً يشارك فعلياً في إعادة صياغة الصورة المعرفية للأمة صياغة جديدة ترفض كل ماله علاقة بمعاني التخلف والجمود الفكري والاعتراب الثقافي.

تبعاً لما سبق ذكره، فإنّ النظر إلى مفهوم التجديد في علاقته بالتحقيق يتجه بالمجدد إلى محاولة مواكبة تطورات العصر، وذلك من خلال تقديم الإجابة عن كل الأسئلة المتعلقة بواقع وبخصوصية الأمة العربية والإسلامية، إذ إنّ التجديد في هذا الاتجاه يروم في الأخير السعي لتأصيل ثوابت الأمة وبلورة خياراتها الفكرية مع صياغة كاملة لمشروعها النهضوي. وعند هذا المعنى الأخير يبدو أنّ المعنى المراد من التجديد في علاقته بالتحقيق، هو العمل على إحياء الموروث الفكري والعلمي العربي والإسلامي من جديد، إحياءً يشارك في إعادة ضبط معالم البناء المعرفي للأمة، وفي الوقت نفسه يبعد كل ماله علاقة بمعنى التخلف. ومن ثمة فإنّ المقصود هنا هو معنى جديد للتجديد يستدعي في جانب منه حضور الموروث القديم فكرياً وعلمياً، وذلك في سبيل تحقيق لغة الحوار والمزاوجة والتفتح وقبول الآخر، سواء كان فكراً أو علماً حتى يتسنى في الأخير الاستفادة الفعلية من هذا الزاد المعرفي لما يقدمه من جدة معرفية تجمع بين تأصيل الماضي والتطورات الراهنة. ومن هنا فإنّ مسوّغات اللقاء بين التجديد والتحقيق في الفكر العربي المعاصر، تختلف باختلاف زوايا النظر لمسألة إحياء الموروث القديم وإبراز دوره في البناء الحضاري للأمة العربية والإسلامية.

إنّ تحقيق الغاية من التجديد، لا يمكن تجسيدها بناءً على ما أوردناه دون التجديد في مناطق التفكير السائدة والمسيطرة في العالم العربي والإسلامي التي أضحت حائلاً دون النهضة والتجديد ليكتمل مضمونها الحقيقي، وهو التحرر من سلطة التخلف والجمود الفكري. ولهذا فمن الأسباب الرئيسة لعملية التجديد في الموروث الفكري والعلمي قيمة ذلك الرابط بين مفهومي التجديد والتحقيق، أي حضور فعل التجديد الذي يعيد بلورة واستيعاب وتوظيف بشكل هادف وواع لكل ما من شأنه أن يشكل مضمون الموروث الفكري والعلمي. لذا فالمعنى الأكثر حضوراً في هذا السياق هو التأكيد على علاقة التجديد بالتحقيق التي تبرز القيم المعرفية الجديدة للموروث القديم، وتساهم في الوقت نفسه في إزالة وإبعاد العوائق المعرفية التي من شأنها أن تعيق حدوث التفاعل الحضاري بين حاضر الأمة وماضيها.

واضح في هذا السياق أنّ التأمل في الوهن الحضاري الذي أصاب الأمة العربية والإسلامية في العصور السالفة لفت الانتباه إلى قيمة الموروث الحضاري الماضي والوقوف عند مضمونه دراسة وتحليلاً وتحقيقاً، لأنّ جملة القيم والمبادئ الواجب إحيائها مجدداً وفق الشروط الحضارية الراهنة، وعلى منوال هذه الحقيقة الحضارية سوف يتجه التجديد في علاقته بالتحقيق إلى إعادة صياغة الشروط المطلوبة لتحقيق التفاعل الحضاري بين الإنسان الحاضر والإنسان الماضي.

ومنه فإنّه لمعنى علاقة التجديد بالتحقيق إضافة فعلية وحقيقية للدور الحضاري للأمة عبر تاريخها، وبالتالي استمرارية وجودها، على اعتبار أن تجديد فهم وقراءة الموروث الحضاري سيكون لا محالة هو الدافع للمجتمع المعاصر نحو الحفاظ على ماضيه الحضاري وفق شروط الحاضر الحضارية، ومن هنا فالتحقيق في الموروث الحضاري وتجديده هو من بين شروط البناء الحضاري الراهن.

وعليه فإنّ المشكلات الحضارية التي تعانيها الأمة العربية والإسلامية يشارك في حلها تجديد الموروث الفكري والعلمي للأمة، الذي يساعد على تحقيق بناء حضاري جديد قائم على احترام الشروط الحضارية الراهنة للأمة، وفي الوقت نفسه يحقق ذلك الاتصال بين حاضرها وماضيهما، على اعتبار أنّ حاضر الأمة لا يمكن أن ينفصل عن ماضيهما بأي حال من الأحوال. من هنا فإنّ الأزمة الحضارية التي تعانيها الأمة العربية والإسلامية، هي في المقام الأول أزمة فكرية، انعكست آثارها على كل جوانب حياة الفرد والأمة دون استثناء.

بناءً على هذا، فإنّ تغيير الواقع الحضاري المتردي، يتطلب في جانب منه خلق بناء فكري جديد يساعد على التخلص من الراهن الحضاري المنحط. وبهذا يتبلور عموماً الهدف الأسمى لمشروع التجديد في علاقته بالتحقيق في الموروث الفكري والعلمي الماضي، هذا الأخير الذي يدعم القاعدة الحضارية للأمة ويساهم في بلورة مشروعها النهضوي، كما يعين على تجاوز عوائق مسيرة البناء الحضاري، وهو الأمر الذي يؤكد حاجة الأمة العربية والإسلامية إلى مثل هذه المشاريع الحضارية النهضوية التي قوامها

العودة إلى ماضي الأمة الحضاري بما يحمله من استراتيجيات حضارية نابعة من ذاتها، تتماشى مع روح العصر ومتطلباته الحضارية، كما يعين على إحداث التغيير في الواقع بما يخدم المستقبل الحضاري وحضارة المستقبل. إذن، تكمن أهمية تحقيق موروث الأمة في أنه لا يزال حياً وتأثيره على راهن هذه الأمة مسألة لا يختلف فيها اثنان، لذا فتجديده ضرورة ملحة بوصفه جزء من الحاضر، كما أنّ فهمه يعني فهم حاضر وواقع الأمة العربية والإسلامية. ولأنّ الأمر كذلك فإنّ هذا يفيد لا محالة عد هذا اللقاء الحاصل بين التجديد وتحقيق الموروث الحضاري للأمة، هو عد الاثنين معاً (التجديد والتحقيق) وصفاً للحاضر انطلاقاً من الماضي، وعد هذا الأخير حاضر معاش. إنّ ما سبق ذكره يعد في نظرنا مقنع وكاف لبلورته في أسئلة رئيسة تمثل حلقة وصل بين ما قيل وما سيقال في ثنايا هذا التحليل بخصوص علاقة التحقيق بالتجديد في فكر عمار طالبي. وحتى نوضح الأمر أكثر نرى من الأهمية طرح الأسئلة التالية وهي:

ما مدى مساهمة فكر مالك بن نبي في بلورة أفكار عمار طالبي الحضارية ؟
ما هو التحقيق؟ ولماذا نحقق في المخطوطات ؟
وماذا عن علاقة التحقيق بالتجديد في فكر عمار طالبي ؟

وإذا كنا سنقف من خلال هذه الدراسة بشيء من التفصيل محاولين قدر الإمكان فهم مضمون هذه الأسئلة، فإنّ الأمر ليس باليسير، والسبب هو تلك النظرة المعرفية المركبة التي يجب أن ترافق هذه الدراسة من أولها إلى آخرها، على اعتبار أن مفهوم التحقيق من جهة، وعلاقته بالتجديد من جهة أخرى، يؤطران معرفياً لكل استفهام يطرح حول موضوع البحث في علاقة التحقيق بالتجديد في فكر عمار طالبي.

العرض:

يسوقنا الحديث عن التجديد عند المفكر عمار طالبي إلى العودة والبحث في أصول فكر هذا الأخير، ونعني هنا العودة إلى فهم مضمون مشروع مالك بن نبي في الظاهرة الحضارية التي شكلت محور اهتمامه، وهو الأمر الذي يضيف على ممارسته الفكرية تفرداً بين جملة الممارسات الفكرية المعاصرة له، والأصل في هذا التفرد الذي ميّز فكر مالك بن نبي هو اهتمامه بالإجابة

على سؤال النهضة المتعلق بسبب تأخر المسلمون، وتقدم غيرهم في الوقت الذي اهتم فيه معاصريه بالبحث في الإسلام ذاته، والأمر نفسه بالنسبة إلى تلميذه عمار طالبي الذي حرص علي الحفاظ على أفكار أستاذه الحضارية، وسعى جاهدا إلى ترسيخها وتجديدها بطريقة أو بأخرى، ونعني هنا اهتمامه بالتحقيق في الموروث العربي الإسلامي لما له من أهمية في دعم مشروع التجديد الحضاري. وهنا نرى من المهم والمفيد التسبيق بالتطرق بصورة شبه مفصلة لأهم معالم مشروع مالك بن نبي الحضارية.

أولاً: مشروع مالك بن نبي في التجديد الحضاري:

إن أهمية هذا الموضوع (التجديد الحضاري)، هي من أهمية صاحبه مالك بن نبي كمفكر له مكانته في العالم الإسلامي، إذ إن في مجموع مؤلفاته "سلسلة مشكلات الحضارة"، التي تعكس بصورة واضحة الارتباط الحاصل بين مفهومي الحضارة والتجديد، ما يدل على أنّ فكرة "الحضارة" التي آمن بها والتي يعتبرها الجزء الأساسي لدراسة مشكلات الشعوب.(01)

وهكذا فإن نظرة مالك بن نبي وتحليله لمشكلة الحضارة على أنّها العامل الحيوي الذي في إمكانه أن يتيح فرصة التعرف على عوامل التقهقر والانحطاط، أي على قوى الجمود داخل الحضارة، وهذا إلى جانب شروط النمو والتقدم، تدفعنا كما يقول مالك بن نبي: "إلى أن ننتقد مسلك بعض الباحثين حين ينظرون إلى ظاهرة الحضارة منفصلة عن ظاهرة الانحطاط، وأنّ العالم الإسلامي لفي أمسّ الحاجة في هذه النقطة إلى أفكار واضحة تهدي سعيه نحو النهضة، ولهذا فإنّ ما يهمننا في المقام الأول هو أن نتأمل الأسباب البعيدة التي حتمت تقهقره وانحطاطه."(02) والمعنى حسب مالك بن نبي هو التخلص من تداعيات مرحلة الانحطاط الحضاري التي طال أمدها، والانطلاق بخطى ثابتة نحو دورة تاريخية جديدة، ميزتها التجديد الحضاري. لأنّ مشكلة كل أمة هي في جوهرها مشكلة حضارته، وحل هذه الأخيرة متوقف على فهم واستيعاب سلسلة الأحداث الإنسانية.

وهكذا، فإنّ ما يحمله المشروع الفكري التجديدي لمالك بن نبي يتركز على أسس مهمة، ونعني هنا الواقع الحضاري الراهن الذي تعيشه الأمة الإسلامية. فإدراك مالك بن نبي لهذا الواقع، وسعيه إلى تقديم قراءة تجمل

رؤية حضارية جديدة تختلف عن باقي الرؤى الحضارية الأخرى، يجعلنا نؤكد منذ البداية على مدى الارتباط الحاصل بين فكر مالك بن نبي وواقع الشعوب المتخلفة، والأصل في هذا، هو أنّ المعركة الحقيقية الآن هي معركة فكرية وحضارية، لا تقل أهمية عن المعركة الاقتصادية أو المعركة المسلحة إن لم تكن أساسها، وإنّ الهزيمة المعاصرة هي في جوهرها هزيمة عقلية، كما أنّها هزيمة عسكرية، وإنّ الخطر المداهم الآن ليس هو فقط ضياع الأرض بل قتل الروح وإماتها إلى الأبد. (03)

من هنا تكتسب رؤية مالك بن نبي مشروعية كبيرة في ذاتها، فقد كانت بحق علامة فارقة في التجديد الحضاري، ولذلك كانت دعوته إلى التركيز على النظر من جديد في مفهوم الحضارة وما يرتبط به من شروط ومفاهيم تتقاسم كلها مجتمعة مشروعه في التجديد، فقد كانت دعوة ناقد مستبصر، ومدرك للواقع وما يحويه واضعاً في الآن عينه يده على مناطق الداء التي يعاني منها المسلم المعاصر، لأنّ التخلّف الذي يعيشه العالم الإسلامي آنذاك، كشف في الحقيقة عن ذلك البون الشاسع بينه وبين العالم الغربي المتقدم، فهو يرى في ذلك مشكلة الحضارة عنوان لحقيقة مهمة أساسها البحث في الأسباب، والمقومات التي تهدي إلى سبيل تحقيق التقدم. من هنا يكون مالك بن نبي بصدد البحث عن مسلك للخروج من دائرة التخلّف الحضاري خاصة أنّ عصره (مالك بن نبي) هو عصر مفصل، إنّ الوقت الملائم للتغيير وللثورة على الصعيد الكوني وأمامنا كما هو أمام سائر القوى، أمران حسب تعبير مالك بن نبي لا ثالث لهما: رسالة أو خضوع. (04)

وفي ضوء هذا المنظور الفكري للتجديد الحضاري المنبثق من فلسفة حضارية واعية، بدا من خلالها مالك ابن نبي مفكراً اجتماعياً، ومجدداً إسلامياً أصيلاً يقترب إن لم نقل يقاسم عالم الاجتماع الموضوع والمنهج. لذا فإنّ ما تشغله نظريته في هذا الصدد يمثل جانباً مهماً من رؤيته الحضارية، ذلك أنّ ما ورد في إحدى تعاريفه للحضارة يحيلنا إلى ذلك. يقول مالك بن نبي: "ويمكن تعريف الحضارة في الواقع بأنّها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوقّر لكلّ عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره." (05)

هذا، ولم يكتف مالك بن نبي بهذا التنظير حول ضرورة التجديد الحضاري في العالم الإسلامي، بل إنه ينتقل بنا إلى رصد الواقع الحضاري العالمي على المستويين، على المستوى الغربي ممثلاً في الحضارة الغربية، أما على المستوى الإسلامي فيمثله العالم الإسلامي، وذلك من خلال تحليله لواقع الحضارة الغربية، والسبب هو الكشف عن عناصر الأزمة التي يحيها الإنسان الغربي، وفي الآن عينه حتى يوضح أنّ أسباب أزمة التخلف الحضاري في العالم الإسلامي، إنّما هي ناتجة عن تخلي المسلمين عن قيمهم العقديّة، وانهارهم بفلسفات ومذاهب الغرب الخاوية.

ونتيجة هذه المقابلة التي أجراها مالك بن نبي بين الواقع الغربي المتأزم والعالم الإسلامي المتخلف، هي الدعوة إلى الفهم الصحيح للإسلام عقيدة أولاً، ثم كشرعية قادرة على احتواء الأزمة الحضارية للمسلم المعاصر وبالتالي عودةً ولحاق الأمة الإسلامية بالركب الحضاري، وتحديدًا بمسارها الذي أراده لها الحق تبارك وتعالى، لأتمّها الأمة التي نزل في حقها قوله: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ". (06)

من هنا يمكن القول إنّ التجديد الحضاري كما يراه ابن نبي قوامه فكرة التغيير الفاعلة، أي تغيير ما بالنفس، وذلك من أجل الإقلاع الحضاري نحو التجديد، فهي الطريق الشرعي والفطري لصناعة الحضارة والتقدم الإنسانيين، لأنّ مفاتيح حل مشكلات التخلف في نظره هي في الذات وليس عند الآخر. ومن ثمة فإنّ مسعى ابن نبي الحضاري، أي بناء مجتمع (حضارة) يستوفي جملة الشروط الحضارية، وأهمها على الإطلاق، أن يكون له حضارة. فأى جماعة في نظره تكتسب "صفة المجتمع عندما تشرع في الحركة، أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غايتها، وهذا يتفق من الوجهة التاريخية لحظة انبثاق حضارة معينة أما الجماعات الساكنة فإنّ لها حياة دون غاية فهي تعيش في مرحلة ما قبل الحضارة. وخلاصة القول: إنّ الطبيعة توجد النوع، ولكن التاريخ يصنع المجتمع، وهدف الطبيعة هو مجرد المحافظة على البقاء، بينما غاية التاريخ أن يسير بركب التقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية هو ما نطلق عليه اسم الحضارة". (07)

تبعاً لهذا الارتباط الذي أكده مالك بن نبي بين مفهومي التاريخ والحضارة، فإنّ ما يجب الحرص على دوره في هذا السياق تحديداً هو تأثير العوالم الثلاثة الآتية: عالم الأشخاص - عالم الأفكار - عالم الأشياء. يقول مالك بن نبي: "لكن هذه العوالم الثلاثة لا تعمل متفرقة، بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقاً لنماذج إيديولوجية في عالم الأفكار، يتم تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص [...] وكما أنّ وحدة هذا العمل التاريخي ضرورة فإنّ توافق هذه الوحدة مع الغاية منها، وهي التي تنسجم في صورة حضارة، يعد ضرورة أيضاً." (08)

يعني هذا حسب مالك بن نبي أنّ صناعة التاريخ وممارسة الحق المشروع في التحضر، يتطلب إعطاء كل عالم من العالم الثلاثة السابقة الذكر ما يقتضيه من شروط، ويتم هذا وفق مناهج علمية مدروسة مؤكدة النتائج فالنجاعة مطلوبة، لأنّ المشروع مشروع أمة بأكملها، وليس مشروع فرد أو جماعة ما فقط، لذلك كان لزاماً أن تحدد الأهداف وتدرس بعمق، لتتطابق النتائج مع المقدمات، وإلاّ كان العمل ناقصاً ومحدود الفكرة والمنهج والمسار. (09)

وفي السياق نفسه يذهب المفكر عمار طالبي، موضحاً قيمة العلاقة بين هذه العوالم الثلاثة، تبعاً لمواقع العالم الإسلامي، حيث يرى أنّ الفكرة في العالم الإسلامي تنسم بضعف في أساسه المفاهيمي، ولذلك فإنّ هذا المجتمع دخل عالم الأشياء، ولم يدخل بعد عالم الأفكار، أي أنّه اكتشف عالم الأشياء قبل عالم الأفكار ومثل هذا الأمر يوقعه في النزعة الشينئية التي لا يتم فيها الالتقاء بين عالم الأفكار وعالم الأشياء، ومن ثمة تبقى الفكرة في معزل عن سلاحها والسبب هو فقدانها فعاليتها. ومثل هذه الحقيقة التي يعانها للأسف العالم الإسلامي عاشها وجربها مالك بن نبي، ولا تزال كذلك واقعا يرثى له، ينم عن فقر في الأفكار يعانها المجتمع المسلم. ولأنّ مشكلة العالم الإسلامي، هي مشكلة أفكار (تقديم عالم الأشياء على عالم أفكار)، فإنّ العالم الإسلامي يفتقر للثروة الرئيسية التي يعول عليها، ويفتقر أيضاً إلى ثروة المفاهيم الواضحة التي يتعيّن بها تسوية النزاعات، لا بالأسلحة ولكن بالأفكار، يعني هذا في نظر عمار طالبي أنّ عالم الأفكار هو الذي يسند عالم

الأشياء ويقومه، وبدونه لا يمكن أن تقوم لعالم الأشياء قائمة، وحجته في ذلك أن ما حدث لألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية من تحطيم عرفه عالم أشياءها، فقد استنفذت وسائلها وهتكت، وما بقي لها إلا عالم أفكارها فأعدت بناء عالم أشياءها من جديد.(10) وهو الأمر الذي يعني أن العنصر الفعّال الذي ساهم في نهوض الإنسان الألماني، إنّما هو أفكاره، وليس هذا واقعاً قائماً على الخيال، وإنّما هو واقع حقيقي، إذ إنّ ما شمل هذا البلد من دمار وتلف وخراب في عالم أشياءه، لم يضع له نهاية بل إنّ استطاع بواسطة ثروته المفاهيمية أن يبني حياته الاجتماعية. وفعلاً أسس من جديد لوضعه السياسي والاقتصادي في العالم، والعبرة التي يمكن استخلاصها من هذا المثال الحي الذي بيّن من خلاله الإنسان الألماني قيمة الأفكار على الأشياء، وبالتالي فلا يمكن إحداث أي تقديم أو تأخير في علاقة هذه العوالم فيما بينها.

وهكذا، فإنّ تفاعل الفكر مع الواقع الاجتماعي والطبيعي، ومن تفاعل مجموع الشعوب مع الطبيعة والأفكار السائدة، ينتج عنه معادلة جديدة هي دليل على نجاح عملية التحضر، هذه المعادلة هي المقياس لتوافق الأفكار والأشخاص والأشياء، إنّها معادلة العلاقات الاجتماعية، أو الصيغة الجديدة للمجتمع التي كانت ثمرة التوافق بين هذه العوالم الثلاثة، لأنّ النجاح في تحقيق الترابط، أي تحقيق شبكة العلاقات الاجتماعية دليل على السير في طريق صنع الحضارة.(11)

لذا فإنّ الفهم الخاطئ للحضارة الذي يسعى المستعمر ترسيخه في أذهان الشعوب المتخلفة، المتمثل في استيراد المنتج الشبّي أو الفكري من العالم الغربي المتقدم، يحمل بذور فناء الطموح الحضاري للشعوب، لأنّ التخلص من التخلف لا يكمن في استهلاك ما تنتجه الحضارة الغربية من أشياء وأفكار، بل إنّ المشكلة في نظر مالك بن نبي أجملها في القول الآتي: "إنّ مشكلة الحضارة تنحلّ إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان مشكلة التراب، مشكلة الوقت. فلكي نقيم بناء حضارة لا يكون ذلك بأن نكدس المنتجات، وإنّما بأن نحل هذه المشكلات الثلاثة من أساسها."(12)

وتحت هذا المعنى يمكن اعتبار أنّ بناء الحضارة لا يكون بتكديس المنتجات، وإنّما يكون بحل هذه المشاكل الثلاثة من أساسها، وهو الأمر الذي يفيد ضمنا أنّ التجديد عند مالك بن نبي هو عملية بنائية تستهدف إقامة حضارة بواسطة نظام من العلاقات الاجتماعية أو هو تحويل الواقع الاجتماعي المتخلف إلى مجتمع متقدم، عن طريق شبكة العلاقات الاجتماعية. وهنا سيبدو أنّ العودة إلى الدور الذي تشارك به العوالم الثلاثة في ذلك أمر لا يمكن تجاوزه، إذ إنّ التغيير الاجتماعي هو من صنع الأشخاص والأفكار والأشياء، ولا بد من وجود رابط ضروري بين هذه العوالم حتى يؤدي التغيير الاجتماعي وظيفته، وتحقق الغاية الحضارية المرجوة من ذلك، ومن ثمة فإنّ لهذا الارتباط بين هذه العوالم الذي تحققه شبكة العلاقات الاجتماعية، هو التحرر من سلطة التخلف، مع تحقيق البناء الحضاري المرغوب فيه، في جانبه الشئني والفكري. يقول مالك بن نبي: "إنّ علينا أن ندرك بأنّ تكديس منتجات الحضارة الغربية لا يأتي بالحضارة [...] فالحضارة هي التي تكوّن منتجاتها وليست المنتجات هي التي تكوّن حضارة، إذ من البديهي أنّ الأسباب هي التي تكوّن النتائج وليس العكس، فالغلط منطقي، ثم هو تاريخي لأنّنا لو حاولنا هذه المحاولة، فإنّنا سنبقى ألف سنة ونحن نكدّس ثم لا نخرج بشئ (بنتيجة)". (13)

إذن، يبدو واضحا من خلال ما سبق أنّ محور اهتمام مالك بن نبي سيركز في جانب كبير منه حول حل مشكلة الحضارة وما يرتبط بهذه الأخيرة من مشاكل رئيسة حصرها بنبي في مشاكل: الإنسان والتراب والوقت، لأنّ الأزمة التي يعيشها العالم الإسلامي في نظره، ليست أزمة سياسية كما ذهب إلى ذلك الأفغاني أو أزمة عقيدة كما نظر لها محمد عبده، أو مشكلة أصالة ومعاصرة، بقدر ما هي سوء فهم للمعنى الحقيقي للحضارة. "لأنّ الحضارة عند مالك بن نبي إنّما هي ثمرة لفكرة رئيسية مطبوعة على مجتمع ما قبل الحضارة تدفعه للدخول في التاريخ، والبعد الروحي عنصر أساسي في المبررات التي تدفع الإنسان وتغذيه وتحدد أفعاله. إنّ الفكرة قوة نفسية، إنّها إجابة للفرغ الكوني الذي يشعر به الإنسان ويغمره عند خلوه بنفسه [...] فالإنسان الحائر المندهش يمتلك هذه الفكرة أو تلك، التي تجعله

يشعر أنّ لحياته معنى، وبحضوره في هذا العالم الواسع الذي يصبح وجوده به منتظماً، تعطيه هذه الفكرة توتراً وشدة لأفعاله واتجاهها لأفكاره ويصبح هذا الإنسان الطبيعي إنساناً حكيماً." (14) بهذا الفهم لمشكلة للحضارة الذي يتداخل مع عالم الأفكار في إحدى جوانبه، لا بد من التأكيد في هذا السياق على أنّ الميزة الأساسية للحضارة، تنبع من روح الدين، إذ يوكل له دور التركيب بين عناصر الحضارة (الإنسان والتراب والوقت) والعوامل الثلاثة، إذ من غير الممكن تغييره أو تهميش دوره فهو ثابت ومؤكد. (15)

وهنا يتبين أنّ عناصر الحضارة لن تجدي نفعاً في منأى عن الدين، ومن ثمة فإنّ غيابه يعني فقدان هذه العناصر لفاعليتها الحضارية، فالعامل الحضاري حاضر في كل آن، وفي الروح الإنسانية التي تحدد مساره نحو تحقيق تحرر الإنسان وكرامته، أو نحو العمل على استبعاده وتلوّث أخلاقه، حتى يفقد حصانة الضمير الإيمانية التي تعصمه عن السقوط، وتحفزه من أجل التقدم. (16)

في ضوء هذا المنظور للتجديد الحضاري عند مالك بن نبي المنبثق من فلسفة حضارية واعية، يبدو أنّه سعى لإيجاد الصيغة الملائمة لبلورة فكرته القائمة على وجود المركب الحضاري المتمثل في العامل الديني الذي يُوجد الفرص المدعمة للنتائج الحضاري المرغوب فيه، الذي يتمشى مع الغايات التي يسطرها عالم الأشخاص وتحقق في الآن عينه الفاعلية والتغيير نحو الأفضل، خاصة إذا تبين أنّ مالك بن نبي قد حرص في مشروعه الحضاري على التأسيس الشرعي لصياغة علاقة الفكرة بالواقع، وتحويل الأقوال إلى أفعال، حيث إنّ العمل بعكس ذلك فيه مخالفة للأمر الإلهي، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: "يا أيّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبراً ممقوتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون." (17) إنّ ما جاء في الآيتين الكريمتين في علاقته بمشروع مالك بن نبي الحضاري، يمثل قاعدة دينية تحث الفرد المسلم على الالتزام في عمله بالفكرة التي ستشكل المشروع الحضاري الذي تم التععيد له من منطلق القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أولاً، ثم واقع الأمة الإسلامية الحضاري في علاقته بالعالم الغربي المتقدم ثانياً، لأنّ اقتران الفكرة بالفعل (العمل) هو أساس التقدم.

ويترتب على ذلك أنّ التصور الحضاري الذي أسس له مالك بن نبي، يحقق ذلك التمايز بين خصائص مجتمع حضاري عن مجتمع حضاري آخر، ومن ثمة فإنّ رؤية ابن نبي الحضارية تروم تحقيق بناءً متوافقاً في الوسط الاجتماعي الواحد، لأنّ التقدم كما يصوره مالك بن نبي لا يستثني فئة دون فئة أخرى في المجتمع الواحد، فهو يشمل كل أفراد المجتمع الواحد، وغير هذا لا يمكن أن يتحقق التقدم الحضاري. يقول مالك بن نبي في هذا المعنى ما نصه: "فالخليفة المسلم والراعي المسلم يتصفان بسلوك واحد لأنّ جذور شخصيتهما تغور في أرض واحدة، هي المجال الروحي للثقافة الإسلامية، والطبيب الإنجليزي والطبيب المسلم يختلف سلوكهما لأنّ جذورهما لا تغوص في الأرض نفسها، على الرغم من أنّ تكوينهما المهني يتم في إطار واحد. فللكل ثقافة وجودها الخاص، الذي تزداد معه قدرتها على التمييز كلما تغيّر المستوى الاجتماعي لجانبي الموازنة." (18) وكأنّ المراد تأكّيده في هذا السياق هو أنّ الحضارة ليست محاكاةً وتقليداً، بل هي حركة وتغيير يقوم بهما أفراد المجتمع بأكمله، بهدف الوصول إلى غايات مسطرة ومحددة، إذ إنّ العمل بغير هذا، أي تحقيق بناء حضاري على حساب التكديس الشبهي للحضارة سيجعل أفراد المجتمع، أفراداً يعيشون في واقع غير واقعهم ويفكرون بأسلوب مناف للواقع الذي يعيشونه. يقول مالك بن نبي: "إنّ الكلمة لمن روح القدس، إنّها تساهم إلى حد بعيد في خلق الظاهرة الاجتماعية، فهي ذات وقع في ضمير الفرد الشديد، إذ تدخل إلى سويداء قلبه، فتستقر معانها فيه لتحوّله إلى إنسان ذي مبدأ ورسالة." (19)

فأصل هذه الكلمة هو العقيدة والواقع الاجتماعي معاً، ومن ثمة لها وزنها وأثرها الفاعلين في إحداث التغيير، أي البناء والتشييد وبالتالي تحقيق رسالة المسلم الحضارية، عكس الكلمة التي لا تحقق سوى الهدم والتخريب. يقول تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ." (20)

بهذا الاقتران بين مفهومي الثقافة والحضارة الذي انتهى إليه مالك بن نبي تبعا لتحليله لمشكل الأمة الإسلامية الحضاري، الذي يرتبط من جهة بخصوصية البنية الاجتماعية للمجتمع الإسلامي، ومن جهة أخرى فهو يعكس ثقافته، ذلك أنّ مالك بن نبي استعان في إطار معالجته لمشكل الحضارة الذي تعانیه الأمة الإسلامية ببلورة المشروع الثقافي الفكري، الذي سيكون في نظره واثق الأمة الإسلامية من خطر الانحلال الحضاري من جراء الاستعمار وتأثيراته المختلفة على جميع مستويات الحياة الاجتماعية. لهذا فإنّ التداخل بدا منطقيا وضروريا بين مفهومي الثقافة والحضارة في فكر مالك بن نبي الحضاري. يقول عن مفهوم الثقافة: "مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كراشمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، فالثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه و شخصيته [...] ففي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر. وهكذا نرى أنّ هذا التعريف يضم بين دفتيه فلسفة الإنسان وفلسفة الجماعة، أي معطيات الإنسان ومعطيات المجتمع، مع أخذنا في الاعتبار ضرورة انسجام هذه المعطيات في كيان واحد." (21)

وهنا سيبدو الأمر أكثر جلاء، حيث أنّ المسألة الثقافية ستلخص في نظر مالك بن نبي تجربة الأمة الإسلامية، بما في ذلك وعمّها بذاتها ومحيطها، فهي تشكل من هذا المنطلق تلك الإطلالة التي تسمح وتمنح الفرد المسلم أن يكون على علم بما يجري في العالم الخارجي من تطور وتقدم، ومن هنا تتحول هذه الصورة الثقافية التي أطرلها مالك بن نبي إلى ثقافة فاعلة وإيجابية، تساهم في نقل أفراد المجتمع من حال الاستيراد الحضاري والتكديس الشئني إلى حال المشاركة الحضارية الفاعلة.

وعليه، فإنّ مسعى المشروع الحضاري الذي أسس له ابن نبي، حيث يشكل وضع الأمة الإسلامية فيه الموجه والضابط لمسار الحركة الحضارية في العالم الإسلامي والواعي للواقع، والمؤطر لتطلعات المستقبل، وبذلك فإنّ بناء الحضارة يكون بإعادة الاعتبار لدور المسلم، وحتى يستطيع المسلم ممارسة وأداء رسالته على أكمل وجه، فلا بد عليه أن يبدأ أولى خطوات رسالته الحضارية، بتجديد أفكاره التي تشكل القاعدة الفكرية لما هو شئني، وهذا

وفق أهداف يحددها هو ذاته، بعيدا عن وصاية المستعمر الذي يروم غرس حضارته أفكاراً وأشياء.

إنّ مالك بن نبي من خلال هذا التميّز في عرض وصياغة مشكلات مشروعه الحضاري، يكون قد حدد الأدوات الفكرية الضرورية المناسبة التي اقتضاها مفهوم التجديد عنده، وكانت بدايته الإنسان كمحور للتغيير وأما نهايته فهي تحصيل التجاوب، وهو النتيجة المرجوة والمرتبقة من مفهوم التجديد في فكر مالك بن نبي، التي سيحمل لواءها من بعده تلامذته المنتشرين على امتداد الرقعة الجغرافية الإسلامية، ومنهم تلميذه بالجزائر المحقق والمفكر عمار طالبي الذي سنسعى جاهدين قدر الإمكان تقديم قراءة نوضح من خلالها التجديد في فكره، وهذا بناءً على ما أخذه عن أستاذه ودافع عليه فيما صدر له من كتابات تخص هذا الموضوع.

ثانياً: علاقة التحقيق بالتجديد في فكر عمار طالبي:

لاشك أنّ البدء بضبط مفهوم "التحقيق" يقرر ضمناً أو صراحة وجوب العودة إلى ماضي الأمة وإحياء هويتها الثقافية والتاريخية الحضارية، حيث إنّ الماضي يعكس في جانب مهم مشاركته في إحداث التغيير، ومن ثمة التجديد، إذ إنّّه يعد من حيث المنطلق أحد أهم المسالك المرجوة والموصلة إلى استلهاهم درس التقدم من ماضي الأمة الفكري والعلمي، وهو الأمر الذي ترتب عليه وجود خط ربط بين حاضر الأمة وماضيها في هذا الجانب المتعلق بالتحقيق في الأعمال الفكرية والعلمية القديمة (الماضية). وبالتالي فالتحقيق من هذا المنظور سيكون إثباتاً لقيمة الماضي وارتباطا بالحاضر والمشاركة في تجديده، وهذا لما له من مكانة في تاريخ الحركة الفكرية العربية، وعند المفكر عمار طالبي على وجه التحديد. فما هو التحقيق؟

لغة: يقال حقق الرجل القول: صدقه أو قال: هو الحق. والجاحظ يسمى العالم المحقق "محققاً".

أما اصطلاحاً فيعرفه عبد السلام هارون بقوله: "يقصد به بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة. فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه." (22) ويعني هذا

قراءة النص على الوجه الذي أراده عليه مؤلفه، أو على وجه يقرب من أصله الذي كتبه به المؤلف. ومن هنا فالتحقيق هو تقديم النص المخطوط كما يريد مؤلفه، أو تقديمه في الصورة التي ينبغي أن يكون عليها. وعليه فالمحقق الذي يريد أن يطلع بهذه المهمة، ينبغي أن تتوافر فيه جملة من الصفات التي تسعفه في تحقيق المخطوطات، ومن فقدها أو فقد بعضها قصرت عنه الملكة وعسرت عليه رموز المخطوطات وسبل نشرها، وهذه الصفات هي:

- الخبرة والتمرس بتحقيق المخطوطات، والدراسة الواسعة لأصول تحقيقها ومعرفة أصولها، وما كتبت به من خطوط متنوعة، مشرقية وفارسية ومغربية، ويرفق ذلك المتمرس بنهج النسخ ومصطلحات القدماء، إذ لا بد من معرفة اصطلاحات القدامى في الضبط والشكل.
- الأمانة في أداء النص، ويعني تقديمه صحيحاً دون زيادة أو نقصان.
- عدم التصرف في المخطوطات وضرورة الحفاظ على عباراتها وأساليبها، ويتعين على المحقق التجرد من الأهواء الشخصية المذهبية أو العيب لإخراجها على أي شكل وصورة رغبة في الاستنكار وتحقيق المكاسب المادية أو بالسطو على جهود الآخرين.
- الإحساس بقيمة التراث العلمي والفكري إحساساً ينبع من الإيمان العميق بدوره الفعال في بناء حضارة الأمة عن طريق إحياء تراثها.
- التعلق بتراث المخطوط ومعايشته، وتوثيق الصلة على نطاق واسع قراءة ودراسة وخبرة ودراية بأسراره ودقائقه وخصائصه وأساليب تدوينه ومناهج كتابته.
- التحلي بالصبر، لأنَّ المحقق غالباً ما تواجهه مشكلات وصعوبات قد تتطلب وقفات طويلة ومتأنية للوصول إلى علاجها الصحيح من علم ويقين، وبعد طول بحث بعيداً عن النظرة الخاطفة التي تأخذ بأقرب ما يتبادر إلى الذهن دون إعمال الفكر وتدقيق النظر وتقليب الأمر على جميع وجوهه المحتملة بغية الوصول إلى وجه الصواب.

- أن يكون المحقق على علم ودراية بموضوع الكتابة فذلك أدعى إلى أن يكون العمل أكثر إتقاناً ودقة. ومهما يكن العلم الذي يحقق فيه، فإنّ على المحقق إتقان اللغة العربية نحواً ولغة، لأنّ الإمام الواسع باللغة العربية وأساليبها ومفرداتها يسهم إسهماً وافراً في تدليل الكثير من الصعاب التي قد تواجه المحقق في أساليب المخطوطة ولغتها، حيث يجد من الحصيلة اللغوية ما يمكنه من تدقيق النظر والوصول إلى الوجه الصحيح.
- الإطلاع الواسع على مختلف مصادر البحث المعرفية، ومعرفة مناهج مؤلفه وتوجهاته العلمية، وطرق البحث في مصنفاته حول شتى العلوم مما يساعد المحقق على تحرير وتوثيق نصوص الكتاب على تحقيقه.
- الاستعداد للحوار الهادف والنقاش البناء، والبعد عن التمسك بالرأي الواحد الشخصي.
- الإطلاع على البيبليوغرافيات العربية وفهارس الكتب وقوائمها.
- معرفة قواعد تحقيق المخطوط وأصول نشر الكتاب.

إنّ ما سبق ذكره سواء تعلق بضبط مفهوم التحقيق أو شروط المحقق يقربنا من التساؤل مجدداً عن الغرض من تحقيق المخطوط، ذلك التراث العلمي والفكري الذي يشكل ماضي الحضارة والثقافة العربية والإسلامية، فهو الموروث الحضاري الذي يوجب علينا احترامه وإحيائه والحفاظ عليه، فتحقيقه لا يعني فقط تبييض ورقه، بقدر ما يعني في نظرنا التجديد بعينه. وهنا نجد التساؤل ونقول: لماذا نحقق المخطوطات؟ إنّ رفع الاستفهام تراءى لنا في جوابين اثنين هما على التوالي:

الجواب الأول:

مفاده ما جاء في قول عبد السلام هارون: "وعلى ذلك فإنّ الجهود التي تبذل في كل مخطوط يجب أن تتناول البحث في الزوايا التالية: تحقيق عنوان الكتاب - تحقيق اسم المؤلف - تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه - تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مقارياً لنص مؤلفه." (23)

بالنسبة إلى تحقيق عنوان الكتاب، ويقصد به خلو بعض المخطوطات من العنوان وهذا بسبب:

1- فقدان أو ضياع الورقة الأولى منها، وهنا يحتاج المحقق إلى إعمال فكري في ذلك بطائفة من المحاولات التحقيقية، كأن يرجع إلى كتب المؤلفات كابن نديم، أو كتب التراجم، أو أن يتاح له الظفر بطائفة منسوبة من نصوص الكتاب مضمنة في كتاب آخر، أو أن يكون له إلف خاص أو خبرة خاصة بأسلوب مؤلف من المؤلفين وأسماء ما ألف من الكتب، فتضع تلك الخبرة في يده الخيط الأول للوصول إلى حقيقة عنوان الكتاب.

2- انطماس العنوان، والانطماس الجزئي لعنوان الكتاب مما يساعد كثيراً على التحقق من العنوان الكامل متى وضح معه في النسخة اسم المؤلف، فإنّ تحقيقه موكول إلى معرفة ثبت مصنفات المؤلف وموضوع كل منهما متى تيسر ذلك.

3- أحياناً يثبت على النسخة عنوان واضح جلي ولكنه مخالف للواقع:
* إما بداع من دواعي التزييف المتعمد فيكون بمحو العنوان الأصلي للكتاب، وإثبات عنوان لكتاب آخر أجلّ قدرأ منه ليلقي بذلك رواجاً، أو يكون ذلك مطاوعة لرغبة أحد جماع الكتب، وقد ينجح المزيف نجاحاً نسبياً بأن يقارب ما بين خطه ومداده وخط الأصل ومداده، فيجوز هذا على من لا يصطنع الحذر والرّيبة في ذلك.

* وإما لجهل قارئ ما وقعت إليه نسخة مجردة من عنوانها فأثبت ما خاله عنوانها، وهذا تزييف ساذج منشؤه الجهل، فيضع أحد الكتاب في صدر الكتاب الأغفال عنواناً يخيل إليه أنه هو العنوان الأصيل. (24)

وبالنسبة إلى تحقيق اسم المؤلف، فلا بد أن تكون هذه الخطوة مصحوبة بالحذر، فليس يكفي أن نجد عنوان الكتاب واسم مؤلفه في ظاهر النسخة أو النسخ لنحطم بأنّ المخطوطة من مؤلفات صاحب الاسم المثبت، بل لابد من إجراء تحقيق علمي يطمئن معه الباحث إلى أنّ الكتاب نفسه صادق بالنسبة إلى مؤلفه. (25)

أما بالنسبة إلى تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه، فليس بالأمر الهين، ولاسيما الكتب الخاملة التي ليست لها شهرة، فيجب أن تعرض هذه النسبة

على فهرس المكتبات والمؤلفات المكتبية وكتب التراجم، لتستمد منها اليقين بأن هذا الكتاب صحيح الانتساب.(26)

وأما بالنسبة إلى تحقيق متن الكتاب، ومعناه أن يؤدي الكتاب أداءً صادقاً كما وضعه مؤلفه كماً وكيفاً بقدر الإمكان، فليس معنى تحقيق الكتاب بأن نلتمس للأسلوب النازل أسلوباً هو أعلى منه، أو نُحلّ كلمة صحيحة محل أخرى صحيحة بدعوى أن أولاهما بمكانها، أو أجمل، أو أوفق، أو ينسب صاحب الكتاب نصاً من النصوص إلى قائل وهو مخطئ في هذه النسبة فيبدل المحقق ذلك الخطأ ويحل محله الصواب، أو أن يخطئ في عبارة خطأ نحوياً دقيقاً فيصحح خطأه في ذلك، أو أن يوجز عباراته إيجازاً مخللاً فيبسط المحقق عبارته بما يدفع الإخلال، أو أن يخطئ المؤلف في ذكر علم من الأعلام فيأتي به المحقق على صوابه.

ليس تحقي المتن تحسناً أو تصحيحاً، وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ، فإنّ متن الكتاب حكم على المؤلف، وحكم على عصره وبيئته الضرب، وهي اعتبارات تاريخية لها حرمتها، كما أنّ ذلك الضرب من التصرف عدوان على حق المؤلف الذي له وحده حق التبديل والتغيير. وإذا كان المحقق موسوماً بصفة الجرأة فأجدر به أن يتنحى عن مثل هذا العمل، وليدعه لغيره ممن هو موسوم بالإشفاق والحذر. إنّ التحقيق نتاج خلقي، لا يقوى عليه إلا من وهب خلتين شديتين: الأمانة والصبر.

وقد يقال كيف نترك ذلك الخطأ يشيع وكيف نعالجه؟

والجواب أنّ المحقق إن فطن إلى شيء من ذلك الخطأ نبه عليه في الحاشية أو في آخر الكتاب، وبين وجه الصواب فيه، وبذلك يحقق الأمانة ويؤدي واجب العلم.(27)

الجواب الثاني:

وخلاصته ما جاء في قول المفكر المصري حسن حنفي، فيرى أنّ التراث مازال حياً في قلوب الناس يؤثر فيهم سلباً وإيجاباً، والمطلوب هو قراءة التراث وتوظيفه توظيفاً جديداً بحيث يصبح: "نظرية للعمل، وموجه للسلوك وذخيرة قومية يمكن اكتشافها واستغلالها واستثمارها من أجل إعادة بناء الإنسان."(28)

على هذا النحو يكون للتحقيق الدور الفاعل في المشاركة في إحياء ماضي الأمة الحضاري، وكونه يمثل أحد أهم المسالك المؤدية إلى تحقيق هذه الغاية الحضارية للأمة، فإنّ هذا يفيد ضمناً أن الغرض من التحقيق بمعنييه:العلمي:وهو الحفاظ على العلم القديم من التلف، أي التحقيق في المخطوطات على اختلاف مضامينها العلمية.والمعنى الحضاري:هو ربط حاضر الأمة بماضها الحضاري، وتجاوز مفهوم القطيعة الحضاري، والغرض في كلتا المعنيين هو تحقيق التجديد العلمي والحضاري.

وتأكيداً للمعنى وتوضيحاً للهدف المرجو من اهتمام المفكر عمار طالبي بالتحقيق في المخطوطات، ما ورد في سياق حديثه عن الحلول الحضارية المستوردة من الغرب لحل مشكلات العالم الإسلامي، إذ يرى المفكر عمار طالبي أنّ الأصح هو ضرورة الحرص على تهيئة الظروف والشروط المناسبة لمشكلات التخلف المطروحة في العالم الإسلامي، سواء كانت الحلول مستوردة جاهزة أم تم تصورها وابتكارها وفقاً لما هو حادث في العالم الإسلامي.(29)

وكون المشكلة المطروحة ترتبط في نظر عمار طالبي بما هو حضاري، فإنّ حلّها يستدعي الإلمام بدراسة الحضارة دراسة مستفيضة في جوانبها النظرية، التاريخية والواقعية، إضافة إلى تحديد عوامل تكوينها وبنائها والوقوف عند شروط ازدهارها وتطويرها، وأسباب انحطاطها وأفولها.وفي السياق نفسه يتضح معنى أكثر أهمية يعكس على وجه الدقة الوجهة الوظيفية التي يجب أن يأخذها التحقيق في المخطوطات في علاقته بحاضر الأمة الحضاري، وهي على ما نعتقد تعني في نهاية الأمر عجز الحاضر بإمكاناته وقدراته الكامنة والصريحة الروحية والفكرية والأخلاقية والمادية عن إحداث التغيير المطلوب، وأنّ ماضي الأمة الحضاري يشد الفرد أو إنسان الحاضر إليه، فهو الذي يملك قوة وقدرة التغيير، وهذا بعد توجيه قراءته الوجهة التي تخدم الأهداف المحددة له، وتجعل التغيير ممكناً ابتداءً من التراث نفسه.(30)

وعليه فاختلاف النظرة بين المفكرين العرب بما فهم المفكر عمار طالبي إلى ماضي الأمة الحضاري في تعريفه، لا يلغي اتفاقهم على قيمته الحضارية ودوره في بناء حاضر الأمة، وهذا شريطة فهمه وتوظيفه توظيفاً جديداً

يساهم في تحقيق المشروع النهضوي للأمة العربية والإسلامية، حيث تصبح الأصوات التي تنادي برفض التراث ضعيفة، لأنَّ الهوية الحضارية تفقد عند ذلك جذورها الحضارية في تربة التراث الخصبة، وتصبح كأنَّها شجيرة في أوصيص نقلت إليه التربة نقلاً بقدر محدود وأجل معدود.(31)

وهنا لا يفوتنا التنويه إلى مسألة التعامل مع الموروث الحضاري للأمة التي أثارها المفكر المغربي محمد عابد الجابري، بمعنى القراءة المبنية على الفصل والوصل عند قراءتنا للتراث حتى يتم تجاوزه، وهذا لا يعني الرفض المطلق وإتِّما الاستيعاب والارتفاع الإبداعي إلى مستوى أرقى، ذلك لأنَّ الأوربيين عملوا على سد الثغرات وإبراز عناصر الوحدة في تاريخهم الثقافي، مبرزين منه ما يستجيب لاهتماماتهم مهمشين ما لا يستجيب، ومستعملين "المقص" لإضفاء المعقولية على صيرورته وتموجاته، لجعل العقل يسود التاريخ، وجعل التاريخ يحرك العقل، فهمهم كان على صعيد الوعي واللاوعي معاً هو إقامة استمرارية تشكل إطاراً مرجعياً ثابتاً وواضحاً تُرتبُ فيها الأفكار والمذاهب ترتيباً منطقياً وتاريخياً في آن واحد، بحيث يسهل الفصل بين ما قبل وما بعد.(32)

هكذا عمد الجابري إلى توضيح الصورة التي يحملها الوعي الأوربي عن تراثه وإبراز كيف أنَّ التراث في وعي المثقف الغربي متصل بحاضره وبمشروع مستقبله، ولذلك فهو لا يشعر بالشعور نفسه لدى المثقف العربي الذي يشعر بأنَّ التراث العربي الإسلامي بكلِّ صوره الفكرية في واد، والعصر الذي يعيشه ومتطلباته في واد آخر. ومن هنا فإنَّ ما هو مطروح حسب هذا المفكر بخصوص عملية إعادة بناء الفكر العربي هو إضفاء المعقولية على التراث، بمعنى إعادة ترتيب العلاقة بين أجزائه من جهة، وبينه وبين اهتماماتنا المعاصرة والمستقبلية من جهة ثانية، وذلك من أجل إعادة التربة الصالحة لاستنبات أسس النقد والتطور في فكرنا وثقافتنا من خلال المواكبة والمساهمة والإنتاج والإبداع.(33)

عند هذا الموقف العقلاني من ماضي الأمة الحضاري، فإنَّ الاقتراب من فهم مضمون العلاقة بين التحقيق والتجديد في صورته العامة يبدو أكثر وضوحاً في نظر المفكر حسن حنفي، ويكمن في عملية إعادة صياغة التراث وتجديده بحيث يصبح التراث والتجديد: "يؤسسان معاً علماً جديداً هو

وصف للحاضر وكأنه ماض يتحرك، ووصف للماضي على أنه حاضر معاش (...). ولما كان التراث يشير إلى الماضي والتجديد يشير إلى الحاضر، فإن قضية التراث والتجديد هي قضية التجانس في الزمان وربط الماضي بالحاضر وإيجاد وحدة التاريخ." (34)

إذن، يستخلص من تحليل السؤال المتعلق بالغرض من التحقيق في المخطوطات مسألة جد مهمة، كون هذه الأخيرة تمثل أحد أهم مقومات الأمة الحضارية، سواء بالنسبة لحفظ ماضيها والحفاظ عليه من التلف والضياع، أو بالنسبة إلى محاولة إبراز القيمة الحضارية لذلك الموروث الحضاري للأمة ودوره في بناء مستقبلها، وهو ما يعني من حيث المبدأ إن علاقة ماضي الأمة الحضاري بحاضرها لن يختلف عند المفكر عمار طالبي عن باقي أقرانه من المفكرين العرب، فقط ستكون له خصوصية قراءة تعكس الجانب الإبداعي في قراءة علاقة التحقيق بالتجديد الحضاري، فهو المفكر الذي طالما اهتم بالكتابة والتأليف والتحقيق.

فماذا عن علاقة التحقيق بالتجديد عنده؟

الجواب عن هذا السؤال يفرض بدءاً الإشارة إلى أهم الكتب التي حققها عمار طالبي، ومحاولة التعرف ولو بصورة مجملية عن العلاقة الموجودة بين هذه العناوين، كمؤلفات تشكل في مجملها الموروث الحضاري الجزائري والعربي الإسلامي في علاقته بالتجديد عند عمار طالبي.

بالنسبة إلى المخطوطات التي حققها عمار طالبي ومنها:

- العواصم من القواصم ل: ابن عربي.
- المختصر في علم أصول الحديث ل: ابن النفيس.
- أعز ما يطلب ل: ابن تومرت.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمان الثعالبي.
- مفردات القرآن لعبد الرحمان الثعالبي.
- شرح ابن رشد لأرجوزة ابن سينا في الطب.
- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل ل: الأمير عبد القادر.
- إيضاح المحصول من برهان الأصول ل: الإمام المازري.
- مبادئ الأصول لعبد الحميد بن باديس.

- الكليات في الطب لابن رشد.
- الموجز في علم الكلام ل: أبي عمار عبد الكافي الإباضي.

وعلى سبيل الذكر لا الحصر يشير المفكر عمار طالبي في مقدمة تحقيقه لرسالة "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" لمؤلفها الأمير عبد القادر إلى أفكار على درجة من الأهمية تعكس من حيث المبدأ سبب تحقيقه لهذه الرسالة، ونعتقد أنّ الدافع لتحقيقها هو دافعه الوحيد للتحقيق في المخطوطات، وهو كشف الجانب الروحي فيها، فضلاً عن أنّه يمثل في نظرنا السند والحجة التي تقوي وتوضح أكثر معنى التجديد عند مفكرنا الذي قوامه النص الديني، حيث يقول عمار طالبي مستهلاً تحقيقه لهذه الرسالة: "يبدو أنّ عناية الباحثين اتجهت إلى دراسة الجوانب العسكرية والسياسية من حياة الأمير عبد القادر، أكثر مما اتجهت إلى بحث حياته العقلية والروحية التي سجلها في مؤلفاته العديدة، وفي شعره، ولا يقل جهاده للنفس عن جهاده لجيوش الاحتلال، ولا يقل قلمه في سيرته عن سيفه في جهاده". (35)

هذا، ويواصل المفكر عمار طالبي حديثه عن هذه الرسالة، مشيراً في البداية إلى أنّ الأمير عبد القادر قد اعتمد في تحريرها كتاب الأحياء لأبي حامد الغزالي، وابن خلدون في مقدمته والرازي، وقد تناول موضوع هذه الرسالة المعرفة، والعقل الذي هو مصدر من مصادرها، فضلاً عن هذا، فقد احتوت الرسالة على مبحث النبوة وهو من أهم مباحثها، على اعتبار أنّ النبوة في نظر عمار طالبي مصدر آخر من مصادر المعرفة التي تتجاوز طور العقل، وهو يذهب إلى أنّ العلوم العقلية لا تناقض العلم الشرعي، كما أنّ الأمير عبد القادر لا يرضى التقليد ويدعو إلى التجديد، والأهم من هذا أنّ لهذه الرسالة كما يرى عمار طالبي قيمة تاريخية تصور مدى عناية هذا الفارس المجاهد بالمعرفة التي بدأ بها حياته وختمها بها، ولم يجعله منفاه عن وطنه أن تخدم أفكاره ويستسلم للقدر، بل إنّه واصل جهاده بطريقة أخرى، طريق أعمال الفكر والتأليف إلى أن ختم حياته بمصنفة العظيم "المواقف" الذي سجل فيه حياته الروحية ونفحاته الربانية وتذوقه الرفيع للكتاب والسنة، ووثيقة صلته بالله عزّ وجل. (36)

دائماً وفي إطار الحديث عن رجالات الفكر والدين ودورهم في النهضة الجزائرية العربية والإسلامية، كتب عمار طالبي مقالاً بعنوان: "النزعة العقلانية والأخلاقية عند ابن باديس". إنَّ اللقاء الفكري الذي جمع عمار طالبي بالعلامة ابن باديس باعث الحركة الإصلاحية في الجزائر، هو تلك الأهمية التي يعكسها منطق تفكير ابن باديس العقلاني وأثر ذلك على معنى التجديد ومضمونه، وقد استهل عمار طالبي حديثه عن هذه المقاربة المعرفية الفكرية التجديدية العقلية والأخلاقية، ودورها في خلق تاريخ جديد يولد الشعب الجزائري ولادة جديدة على أصول تليدة قال عنها عمار طالبي على لسان ابن باديس: "نعزم فيه على تجديدها تجديداً روحياً وعقلياً وأخلاقياً وعملياً وتاريخياً، تجديداً إسلامياً محمدياً في جميع ذلك لنولد في عامنا الجديد ولادة جديدة". (37)

فضلاً عن هذا فقد أشار عمار طالبي إلى المعنى الحقيقي للإسلام ودوره في الحياة الإنسانية عند ابن باديس، هذا الأخير الذي ميّز بين ما سماه بالإسلام الوراثي والتقليدي، وبين ما سماه بالإسلام الذاتي، ويبيّن أنّ الإسلام الذاتي هو الإسلام الذي جاء به القرآن الكريم وأمرنا أن نقيمه على الفكر، فالأهم في نظر ابن باديس لا تنهض إلا بالتفكير في الطبيعة وفي آيات الله ولا تتقدم إلا ببناء أعمالها وأحكامها، وأقوالها على الفكر، وذلك وحده هو سبيل الحضارة والعمران، وكون إسلامنا حسب ابن باديس ذاتياً، أي إسلاماً حقيقياً أصله القرآن والسنة، لا يكون إلا عن طريق التعليم، وقرر أنّه لا حياة إلا بالعلم وذهب إلى أنّ القرآن نفسه معجزة علمية عقلية، أي أنّ الإنسان العاقل إذا فكر فيه خضع لسلطانه، لأنّه برهاني لا يقوى على معارضته. (38) وقد أردف المفكر عمار طالبي توضيحه لأهمية التفكير ومكانته في مشروع ابن باديس الإصلاحي بالقول التالي: "نستطيع القول بأنّ ابن باديس انتهى إلى التفكير هو ما ينبغي أن يسير الإنسان على ضوئه في اعتقاده وفعله وقوله وفي حياته كلها، والدليل على ذلك أنّه صرّح بذلك بوضوح تام إذ قال العلم وحده الإمام المتبع في الحياة في الأقوال والأفعال والاعتقادات، وقرر أنّ أساس العلم إنّما هو التفكير والنظر (...). لأنّه كفانا التحمل في القول والتعسف في البرهان فصرّح بما ذهبنا إليه في سلسلة من الأدلة أو المقدمات

سلوك الإنسان في الحياة مرتبط بتفكيره ارتباطاً وثيقاً ويستقيم باستقامة، ويعوج باعوجاجه، ويعقم بعقمه، لأنّ أفعاله ناشئة عن اعتقاداته وأقواله إعراب عن تلك الاعتقادات وثمره إدراكه الحاصل عن تفكيره ونظره." (39)

كما هو واضح فالمفكر عمار طالبي يصدر في هذا السياق من موقع القارئ المحلل والمؤول للموروث الحضاري متأثراً في ذلك بأستاذه مالك بن نبي في تنظيره للمشروع النهضوي الإسلامي، محاولاً في الوقت نفسه معالجة المسائل والموضوعات الحضارية بما فيها التحقيق من وجهة نظر تجديدية تتماشى مع الراهن الحضاري للأمة العربية والإسلامية، وهو الأمر الذي يعني أن التحقيق في المخطوطات كموضوع على جانب من الأهمية في ربط ماضي الأمة بحاضرها، مع الأخذ بعين الاعتبار إعادة بعث الأفكار الخالدة التي ارتبطت بأسماء مفكرين أمثال ابن باديس. ومن هنا فإنّ التحقيق في المخطوطات والتأصيل للمشاريع الحضاري النهضوية الماضية في الحاضر، لا يتزاحمان في نظرنا مع بعضهما في علاقة تضاد وتناقض، وإنما هما يكملان بعضهما بعض، فالتحقيق في المخطوطات مسلك للتجديد ضد التخلف، وإحياء أفكار الماضي مطلب حضاري راهن لتحقيق التجديد ضد التخلف أيضاً. وعلى هذا النحو فإنّ التحقيق بالنسبة إلى المفكر عمار طالبي لم يتوقف عند إبراز قيمة ما هو مادي حضاري، بل إنّه وسيلة ومسلك حضاري رام من خلاله ملامسة جوهر الموروث الحضاري للأمة العربية والإسلامية، وهو الكشف عن المضمون الماهوي والجوهر الروحي للماضي الحضاري لهذه الأمة.

ومنه فإذا كان مشروع المفكر عمار طالبي يصب في اتجاه واحد نحو إبراز العناصر الروحية في الموروث الحضاري الماضي بغرض الاستفادة منها في بناء حاضر الأمة الحضاري، وإعادة تحديثها وتجديدها مع مقتضيات الحضارية الراهنة، فإنّ هذا يعني في نظرنا أنّ عمار طالبي يقدم نفسه بصفته صاحب مشروع حضاري، يروم تصحيح الأفكار وتحرير الشعوب، وتنوير العقول، وتحديث وعصرنة المفاهيم والقيم، والحفاظ على الموروث القديم وتجديده، وإعادة النظر في الأصول الحضارية ذاتها بهدف رؤية روحية مغايرة لمفهوم التجديد الحضاري تقوى على مواجهة تحديات العصر. ولهذا فإنّنا نرى بناء

على ما سبق ذكره أنّ المفكر عمار طالبي يربط ربطاً محكماً بين التجديد والتحقيق، ونعتقد أنّ التجديد في رأيه لا يمكن أن ينفصل في جانب منه عن التحقيق، وهو ما يعني أنّ العودة التي اتضحت من خلال أهمية التحقيق ودوره والغرض منه في علاقته بالتجديد الحضاري، ليست بمعنى إلغاء عوامل التجديد الأخرى، بقدر ما هي عودة يقظة واعية تهدف إلى استنطاق ماضينا الفكري والعلمي، وفهمه فهماً جديداً يسمح بالكشف عن شروطه وعناصره الفكرية والحضارية.

الخاتمة:

من خلال ما سبق التطرق إليه في ثنايا تحليل علاقة التحقيق بالتجديد عند عمار طالبي نخلص إلى النقاط التالية:

أولاً: إنّ التحقيق في التراث الإسلامي في نظر المفكر عمار طالبي على ما نرى ليس غاية في حد ذاته، وإنّما هو وسيلة يمكن الرجوع إليها وإحيائها بغرض إعادة بناء الحاضر بناءً جديداً وفق رؤية جديدة، فلا تجديد دون العودة إلى قراءة الموروث الحضاري واستيعابه، وتأويله وفق معطيات حاضر الأمة.

ثانياً: التجديد في نظره لا يعني الآخر (الغرب)، لأنّ الحضارة عنده هي التي تحقق الإنتاج وليس العكس، والتسليم بهذا المعنى يعني الوقوع في أسر التقليد والاستيراد الحضاري والتبعية للمجتمع الغربي، وإنّما التجديد هو عدم الخروج في جانب منه عن الموروث الحضاري الماضي، بل ينبثق منه، وهذا وفق شروط أهمها على الإطلاق الذات (الفرد) والمجتمع والتاريخ.

ثالثاً: إنّ بناء وتجديد الفكر والموروث الحضاري للأمة يتطلب تحويل الوعي الحضاري الفردي إلى وعي حضاري جماعي، وهذا من أجل بناء حاضر الأمة الحضاري، ومن ثمة إعادة صياغته وفق الشروط الحضارية التاريخية، فالتجديد عند عمار طالبي يأخذ في هذا السياق المعنى التاريخي، يجسد طبيعة العلاقة بين حاضر الأمة وماضيها، وهذا للتوظيف الواعي للقيم الماضية وفق الشروط الحضارية الراهنة للأمة العربية والإسلامية.

رابعاً: إنّ حدوث التجديد في جانب منه مرهون بالتحقيق في الموروث الحضاري الإسلامي القديم، فلا يتم الكشف عن أسباب التجديد في الحاضر، إلّا بالعودة إلى ماضي الأمة الحضاري، ومتى لم يتم التمكن من

أسباب التجديد، فسيظل دائماً مشروع غير مكتمل يحتاج في هذا السياق إلى عقل واع ومقتدر لإسقاط قيم الماضي على واقع الأمة الحضاري الراهن بما حواه من شروط ومتطلبات.

خامساً: إنَّ العودة التي يدعو إليها المفكر عمار طالبي ليس بمعنى الذوبان في الماضي، بقدر ما هي عودة لها طبيعة خاصة، أي يجب أن تكون عودة يقظة وواعية تهدف إلى استلهام ماضيها الحضاري، وفهمه فهماً جديداً يسمح بالكشف عن مكوناته وآلياته المعرفية، وهو إذ يفعل هذا يهدف إلى تحويل موروث الأمة الحضاري إلى شرط من شروط التغيير الحضاري، ومن ثمة التجديد.

على هذا النحو يبدو أنَّ المفكر عمار طالبي قد حدد تلميحاً لا تصريحاً علاقة التجديد بالتحقيق، ودور هذا الأخير في بناء مستقبل الأمة الحضاري، على أنَّها علاقة قائمة من جهة على الفهم القائم على استيعاب تراثنا الحضاري بمختلف مضامينه، ومن جهة أخرى فهي علاقة تروم توظيف هذا التراث والاستفادة منه في تحقيق التغيير في الحاضر المرفق بالتجديد.

الهوامش:

- (01) آمنة تشيكو: مفهوم الحضارة بين مالك بن نبي وأرنولد توينبي، دون طبعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص: 09.
- (02) مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1970، ص: 82.
- (03) حسن حنفي: التراث والتجديد، الطبعة الخامسة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002، ص: 176.
- (04) مالك بن نبي: القضايا الكبرى، تقديم: عمر مسقاوي، سلسلة مشكلات الحضارة، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1991، ص: 13.
- (05) مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة: الدكتور بسام بركة والدكتور أحمد شعبو، إشراف وتقديم: عمر مسقاوي، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2002، ص: 42.
- (06) سورة آل عمران: الآية رقم: 109.
- (07) مالك بن نبي: ميلاد مجمع، ترجمة: عبد الصبور شاهين، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1974، ص: 16.
- (08) المرجع نفسه، ص: 23-24.
- (09) بشير ضيف الله: فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، دون طبعة، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2004، ص: 98.
- (10) عمار طالبي: التجديد في الفكر عند مالك بن نبي، جريدة البصائر، العدد: 435، 15-21 مارس، الجزائر، 2009، ص: 24.
- (11) أسعد السحمراني: مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1984،

- ص:147.
- (12) مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1979، ص:45.
- (13) مالك بن نبي: تأملات، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1978، ص:167.
- (14) عمار طالبي: التجديد في الفكر عند مالك بن نبي، جريدة البصائر، العدد:434، 14-08 مارس، الجزائر، 2009، ص:24.
- (15) بشير ضيف الله: فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، المرجع السابق، ص:73.
- (16) أسعد السحمراني: مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً، المرجع السابق، ص:149.
- (17) سورة الصف: الآيات رقم: 02-03.
- (18) مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، الطبعة الرابعة، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1984، ص:52.
- (19) مالك بن نبي: شروط النهضة، المرجع السابق، ص:22.
- (20) سورة إبراهيم: الآيات رقم: 24-25-26.
- (21) مالك بن نبي: شروط النهضة، المرجع السابق، ص:83.
- (22) عبد السلام محمد هارون: تحقيق النصوص ونشرها، الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1998، ص:42.
- (23) المرجع نفسه، ص:42.
- (24) المرجع نفسه، ص:43.
- (25) المرجع نفسه، ص:44.
- (26) المرجع نفسه، ص:45.
- (27) المرجع نفسه، ص:46-47-48.
- (28) حسن حنفي: التراث والتجديد، الطبعة الأولى، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1981، ص:13.
- (29) عمار طالبي: فكر مالك بن نبي والمجتمع الإسلامي المعاصر، أعمال الملتقى الدولي (مالك بن نبي فكره وأعماله)، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2003، ص:136.
- (30) فهمي جدعان: نظرية التراث، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1958، ص:28-29.
- (31) علي رحومة سخمون: إشكالية التراث والحداثة في الفكر العربي المعاصر (بين محمد عابد الجابري وحسن حنفي أمودجا)، دون طبعة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1007، ص:27.
- (32) المرجع نفسه، ص:171.
- (33) المرجع نفسه، ص:182.
- (34) حسن حنفي: التراث والتجديد، المرجع السابق، ص:17.
- (35) الأمير عبد القادر: ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، تحقيق: عمار طالبي، دون طبعة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2005، ص:05.
- (36) المرجع نفسه، ص:07-08.
- (37) عمار طالبي: التزعة العقلانية والأخلاقية عند ابن باديس، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، المجلد الأول، العدد الأول، 2002، ص:63.
- (38) المرجع نفسه، ص:64-65.
- (39) المرجع نفسه، ص:70.